

كلمة البحث

بائعة اللبن الجميلة التي أصبحت رمز بلدها.. وماتت فقيرة

محمد جدّي حسن | السبت 16/01/2021



محمد جدّي حسن
كاتب تشادي
مقالات أخرى للكاتب

شارك المقال  111  292  Tweet   



كيّلو



كيّلو بثّ الدقيل.. هذا اسم لامرأة رأت غالبية التشاديين شكلها، والبعض يراها كل صباح. فصورتها مطبوعة على طوابع البريد، والأختام الرسمية. مرسومة على ورقة مالية، وقطعة نقدية. لكن قلّة من الناس تعرف من تكون هذه المرأة وما قصتها؟

كان المساء رمادياً، والهواء حائناً والشتاء على الأبواب حين طرح اسمها كاستفهام. كنا نتناول السمك المقلي على بعد أمتارٍ من دوّار "المئة عام"، ووصل رجل حليق الرأس، بعينين زرقاوين، وبدأ يثرثر. كان المكان غاصاً برجال الحكومة آكلي السمك والمال العام؛ مديرين وموظفين كبار. قال الرجل الأبيض الأصلع "أنت جميلة مثل كيّلو بثّ الدقيل" مغازلاً بلاعة نشطة.

غمغم الجميع، فلحظ ذلك وصرخ قائلاً:

- من منكم يعرف كيّلو؟

الموظفون الكبار الذين يرون صورتها في غالبية صباحاتهم، ويوقعون أوراقهم يرسم لشكلها عجزوا أن يقولوا شيئاً يشفي غليل الأصلع. لا أحد منهم يعرف شيئاً عن المرأة الأشهر في الجمهورية!

انزعج البيروقراطيون الصغار من هذا الاستفهام. وعلى بعد أمتار منهم، تملل عاظم ما وفكر في أن يخبرهم شيئاً عنها بعد زهاب الأصلع الذي أربك الجميع.



في العام 1960، كانت الجمهورية التشادية قد استقلت لتؤمها من الاستعمار الفرنسي مثل معظم المستعمرات الفرنسية في أفريقيا. وكان يرأسها شاب مدرس، يدعى انقرتا تمبلياي، سارع الفرنسيون لدعمه على تأسيس جمهوريته على القيم الأوروبية ذاتها. عرضوا على الرئيس الأول مجموعة من الصور وطلبوا منه أن يختار إحداها لتكون رمزاً لبلاده، ووقع اختياره على صورة كيّلو بثّ الدقيل.

صدقة خير من ألف ميعاد

في إحدى صباحات شتاء العام 1950. خرجت كيّلو باسمها الحقيقي أختية دلوب من قريتها نكرا، التي تبعد 15 كيلومتراً عن العاصمة التشادية التي سُميت آنذاك فور لامي، برفقة صديقات لها ربطن الأذواق على الحمير وتوجهن نحو العاصمة لبيع اللبن. لم تكن تدري أنّ رحلتها تلك ستجعلها أشهر امرأة في البلاد. كانت تقطع 15 كيلومتراً كل صباح، ما عدا يوم الجمعة، لتمشي كل هذه المسافة لبيع لبنها في العاصمة الصغيرة. عند حوالي الساعة الحادية عشر صباحاً، كانت جالسة لوحدها تحت شجرة نيم واضعة زفها أمامها منتظرة من يبيع منها، حين رأها المصور روبرت كارميت. رأها من بعيد، فاقترب يراقبها تمشي وتعود بنشاط وضحكات.

التقط لها العديد من الصور بينما كانت تذوب من الخجل. فالصورة الشهيرة أيضاً تظهر جلياً ملامح امرأة خجلى تحاول الهرب من عين الكاميرا. بحسب المصور فإن تسريحتها الغريبة وجمال ضفائرها هي التي دفعته لالتقاط العديد من الصور. وحقيقة كانت تسريحتها يوم ذاك تسريحة صعبة جداً تستغرق بضع ساعات من العمل، تجلس لها المرأة التشادية قبيل المناسبات الهامة كي تتزين بها.

ثمة رواية أخرى تنفي التقاط المصور لصورها في السوق، وتذهب إلى أنها كانت تبيع اللبن للفرنسيين الذين كانت البلاد في قبضتهم. والتقط لها الصور في بيته. لن نحاول ترجيح الرواية الأولى على الثانية رغم أن المصور ذكر الأولى إلا أن هذا يجعلنا نتحدث عن جمال المرأة. كانت كيّلو في أوج أنوثتها وقت ذاك. لم تدخل العشرين بعد، وتقطع كيلومترات كل صباح مما أكسبها رشاقة واضحة لجسدها المشدود بإثارة.

نشرت صورتها لأول مرة على بطاقات بريدية في فرنسا نهاية الخمسينات.

ولاحقاً أتت كيّلو إلى العاصمة التي تحوّل اسمها إلى أنجمينا بعد الاستقلال. وسكنت في حارة "جنب البحر" جنوب مكتبة المنى حالياً. عاشت هناك حتى نهاية الستينات. ثم عادت لقريتها نكرا بشكل نهائي. في العام 1963 بدأت صورتها تظهر في الطوابع الحكومية والأختام الرسمية، والأوراق المالية. بيد أنها لم تكن تعرف شيئاً عن الأمر رغم أنها على بعد كيلومترات قليلة من العاصمة في قرية صغيرة تسمى نكرا.



قُتل الرئيس الأول انقرتا تمبلياي في العام 1975 من قبل الانقلابيين الذي تخلصوا من صورتها كرمز للبلاد بحجة أنها من أشياء الرئيس المقتول. في العام 1980 أعادوا صورتها كرمز للبلاد وفي السنة نفسها قامت وزيرة المرأة بالبحث عنها. عثرت عليها وزيرة المرأة آن ذلك السيدة عائشة سلقيت، وأخبروها بأنهم يستخدمون صورتها التي التقطها فرنسي قبل قرابة ثلاثين سنة. لكنهم انتظروا حتى العام 1987 لتنتم دعوتها للمرة الأولى إلى الدورة الأسبوع الوطني للمرأة التشادية... لم تفعل الحكومات شيئاً لكيّلو ولم تحصل منها على أي دعم رغم أنها استخدمت صورها لملايين المرات على مدى عقود.

بعد فوات الأوات

كل التكريمات التي حصلت عليها السيدة كانت بعد وفاتها ولم تفدها بشيء. في 14 فبراير 1997، نالت ميدالية فارس الاستحقاق الوطني من قبل رئيس الجمهورية ادريس دبيي اتنو. وقبل عام طالب أقاربها بتعميد بيت باسمها مع وضع تمثال في وسط البيت، بيد أنّ أيّاً من هذه المطالب لك تتحقق بعد. اليوم هناك تمثال عند مدخل المكتبة الوطنية التشادية.. امرأة تمسك بكتاب مزخرف بشعار البلاد' وحدة. عمل. تقدم. يقال أنّ النحات نحت صورة كيّلو.

تدعى كيّلو بثّ الدقيل

تحت هذا العنوان وضع المؤرخ التشادي أرنود ونقامجي كتاباً قال في مستهلّه أن كيّلو بالنسبة للتشاديين بمثابة فارس الاستحقاق الفرنسيين. دنقامجي طرح سؤال droit d'auteur وأشار إلى عدم حصول كيّلو على فرك واحد مقابل استعمال صورتها على مدى سنوات. ماتت كيّلو من دون أن تستفيد من الأمر مادياً.. ووريثتها الوحيد لم يحصل على شيء من الدولة التي استعملت صورة والدته على مدى عقود. وأشار إلى نموذج السنغال التي تدفع قرابة مليار فرك كل عام لورثة ليوبولد سيزار سنغور، مؤلف النشيد الوطني السنغالي. والاتفاق يبيص على الدفع حتى سبعين عاماً بعد وفاة المؤلف.

اليوم لا يعرف التشادج الكثير عن هذه المرأة مع أنه يراها في غالبية أيّامه؛ لأنّ الحكومات التي تعاقبت على حكم هذه البلاد. والتي استعملت صورتها لعقود. لم تقم بأي بادرة، فهي ليست مدرجة في البرامج التعليمية ولا وجود لوثائقها أو أفلام عنها. وماتت كيّلو بثّ الدقيل العام 1995.

مقالات قد تهتمك

-  #التورتة_الفاضة.. أكبر مشاكل مصر؟
-  بعد كتاب فضح سياسياً فرنسياً.. انفجار شهادات سفاح القربى في "تويتتر"
-  الداعية التركي المحاط بالنساء.. إدانة بالف سنة سجن

شارك المقال  111  292  Tweet   

التعليقات

0 Comments Sort by

 Add a comment...

Facebook Comments Plugin